من داخل السجن ٢٣

رجال صدقوا ٩

أبو قسام

الشهيد الفدائي محمد سهوان

الأستاذ علي معراج

بسم الله الرحمن الرحيم

اسم الكتاب: أبو قسّام

تأليف: الأستاذ علي معراج

تصحيح وتدقيق: الدكتور الشيخ حسين اليوسف

الطبعة: الأولى، ٢٠٢٤م

نشر: دار الوفاء للثقافة والإعلام

البريد الإلكتروني: mediaalwafa@gmail.com

الفهرس

مقدمة الناشر ٩

الشهيد الفدائي أبو قسّام

ابن العائلة الحسينية ١٢

موقف حازم في وجه الرذيلة والمخدرات ١٣

مقتل الشرطي في «الدراز» ١٣

الشهيدان .. هاني وهاني ١٥

اعتقال «أبي قسّام» ١٦

رحلة التعذيب ١٧

الطامورة ١٧

الأغلال ١٨

الحرمان من الاحتياجات الأساسية ١٨

في الحوض الجاف ١٩

استفزازات المرتزقة ٢٠

في سجن جو ٢١

الشهيد بين ثورتين.. استراحة محارب وطاقة تتفجر في كل جانب

أبو قسّام في أحضان العائلة ٢٢

شمعة السنابس ٢٣

الملحمة الخالدة ٢٣
الضيف القطيفي ٢٥
القلب الحسيني ٢٦
الملحمة الخالدة (٢) ٢٧
إبداع الممثل الشمولي ٢٨

«الرافض للظلم في زمن الصمت»

النشاط السياسي للشهيد ٢٩
البوصلة السياسية في الشأن المحليّ ٣٠
عيد الشهداء ٢٠٠٩م ٣٠
رعاية الأجيال ٣٢

الشهيد في ثورة «١٤ فبراير»

في انطلاق ثورة ١٤ فبراير ٣٣
القيادي أبو قسّام ٣٣
في الدوار ٣٤
الإصابة ٣٥
خلية قطر ٣٦

الشهيد في مقبرة الأحياء

عند زاوية المصلّى ٣٧

العائدون من التسعينات ٣٨
شخصية أبي قسّام ٣٩
الجانب الرياضي ٣٩
المهرجانات ٤٠
الجانب التاريخي ٤١
دورة إدارة المشاريع ٤١
الدروس الدينية ٤٢
الاهتمام بشؤون المسلمين ٤٣
حماية الشباب ٤٣
النور المحمّدي ٤٣
تدشين المشروع ٤٤
ضربة جو ٤٦
في الخيمة ٤٨
ما بعد الخيمة ٤٩
في مبنى ٦ ٤٩
الشهيد واحتياجات الشباب ٥٠
وما بدّلوا تبديلاً ٥٠
الوصول إلى المعشوق ٥١

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

أفضل الصلاة والسلام على محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين واللعن الدائم المؤبد على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين.

إن لدماء الشركات بركات وآثار عظيمة في المجتمعات الإسلامية، ولكن بشرط الاستمرار على طريقهم وتذكير المجتمع بهم، فلذلك العمل على آثار الشهداء وتدوين حياتهم يعتبر لطف من الله سبحانه وتعالى على عباده.

يعد الشهيد محمد سهوان، المعروف باسم أبو قسام، واحداً من أبطال الثورة البحرانية، الذين قدّموا حياتهم فداءً لقضية الحرية والكرامة والعدالة الاجتماعية. وقد ارتقى هذا الشهيد الشجاع من داخل السجون الخليفية، بعد أن قضى فيها سنواتٍ طويلة، تعرض فيها لأشد أنواع التعذيب والاضطهاد.

وفي هذا الكتاب، نتعرف على حياة أبو قسام، ونستكشف رحلته الثورية، ونتعرف على تفاصيل ما حدث داخل السجون الخليفية، وكيف أن هذا الشهيد الشجاع تحدى الظلم والاضطهاد، وبات رمزاً للصمود والثبات، وأحد أبرز شخصيات الثورة البحرانية.

وإذ يعتبر هذا الكتاب هو الكتاب التاسع من سلسلة رجال صدقوا الخاص بالشهداء والمضحين، ولا ننسى تقديم الشكر إلى الأسير الحبيب الأستاذ علي معراج على كتابته لهذه الأسطر المباركة؛ سائلين المولى عز وجل الفرج القريب عن جميع الأسرى والرحمة للشهداء والحمدلله رب العالمين.

دار الوفاء للثقافة والإعلام

الشهيد الفدائي أبو قسّام

بدايةً؛ فإن الشهيد «**أبا قسّام**» شخصية استثنائية بكل ما للكلمة من معنى، وقد كتب أحد الإخوة كتيّباً مباركاً عن الشهيد، إلّا أن هناك المزيد مما ينبغي للناس معرفته عن «**أبي قسّام**»...

وحتى هذا الكتيّب الذي بين يديك، فهو محدود جداًجداً مقارنة مع سعة بحر «**أبي قسّام**» وعمق شخصيته.

فالشهيد بحاجة إلى كتاب كامل يروي قصة جهاده في سبيل الله، وهي قصة تمتد لأكثر من عشرين عاماً خاضها الشهيد في مختلف ميادين العمل الإسلامي. هذا الكتيّب يحوي ذكريات مشتتة، وليس الهدف منه هو إشباع كل جانب من جوانب شخصيّة الشّهيد؛ بل الهدف هو لفت نظر القارئ إلى وجود هذه الجوانب المتعددة لدى «**أبي قسّام**»، وإن بإمكان القارئ السؤال والبحث كي يتعرف على باقي التفاصيل، فـ«**أبو قسّام**» وضع بصماته في كل مَن حوله، ويمكنك أيها القارئ العزيز أن تسأل مَن تعامل معه كي ترى أن الكلمات في هذا الكتيّب هي أقل من حقّ الشّهيد، كما أنك ستسمع قصصاً جديدة عنه.

أعتذر لـ«**أبي قسّام**» على هذا الجهد المتواضع في حقّه، وأدعو الله أن

يوفقني للكتابة عنه مجدداً بشكل أكثر تفصيلاً...

ابن العائلة الحسينية

الشهيد محمد سهوان «أبو قسّام» هو ابن قرية «**السنابس**»، وهو سليل عائلة اشتهرت بالذوبان في حب الحسين عليه السلام، وكيف لا يكون كذلك وهو ابن الملا «**حسن سهوان**»، الذي ربّى ثلاثة من ألمع الروّاديد في تاريخ البحرين؛ وهم «**جعفر**» و«**مهدي**» و«**حسين**»، وكان لهؤلاء الثلاثة دور مفصلي في تغيير مسار الموكب وإدخال الجانب الثوري فيه بقوة، وذلك رغم فترة الرعب التي كانت تخيّم على البحرين في فترة قانون أمن الدولة.

ففي ذلك الوقت، كان الإخوة في القطيف والأحساء، يصعقون حينما يحضرون مواكب البحرين، ويسمعون الهتافات الثورية والذكر الصريح لاسم «**الإمام الخميني**» قدس سره. الوصول بالموكب إلى هذا المستوى تم لأن الله سخّر رجالاً مثل «**آل سهوان**» ليجاهدوا بكلمة الحقّ عند سلطان جائر.

«**محمد**» لم يشارك إخوته في الموكب، ولم يرث نعي الحسين عليه السلام عن أبيه، لكننا سنجد أن «**محمداً**» شاركهم ذات الخط الثوري، وأنه لا يقلّ عن إخوته فيما يتعلق بالتأثير على البحرين.

الشّهيد «**محمد**» بن الملا «**حسن سهوان**»، كان من مواليد عام ١٩٧٢م، وهو قد شقّ طريقه مبكراً نحو التمثيل، فكان يشارك في ركب السبايا، وسرعان ما كان «**أبو قسّام**» يتولّى دور قراءة القرآن في الهودج وهو عمل يتطلب شجاعة خاصة، لم تكن تلك سوى البدايات المتواضعة للشّهيد، فسرعان ما شقّ «**أبو قسّام**» طريقه ليصنع لنفسه مكانةً مميزة في العمل الإسلامي في «**السنابس**»؛ حيث صار وجهاً تراه مختلف الأنشطة، وكيف لا يكون كذلك وهو نِتاج مشروع العمل الإسلامي الذي أطلقه الشّهيد «**أحمد الإسكافي**» سنة ١٩٨٦م.

موقف حازم في وجه الرذيلة والمخدرات

في الثمانينات كانت «السنابس» ضمن أول المناطق التي عانت من موجة منظمة من المخدرات ونشر الرذيلة، وكان لرجالات «السنابس» موقف حازم في وجه هذه الموجة، وخصوصاً بعدما تبيّن أن جهاز الاستخبارات كان يقف خلف هذه المؤامرة الدنيئة التي أودت بحياة أعداد كبيرة من الشباب إضافة لما تسببت به من ضعضعة الحالة الإيمانية في القرية.

لذا فقد قام أهالي «**السنابس**» بتأسيس مجاميع شعبية، وأوكلت لها مهام مختلفة من أجل تحصين القرية في وجه هذا الاستهداف.

فكان «**أبو قسّام**» من بين الشباب الذين يتولون التدقيق على هويات الأجانب عن القرية الذين يأتون لبيع المخدرات، وذلك رغم أن الشهيد حينها لم يكن قد بلغ العشرين من عمره.

وليس من الغريب أن ترصد هذه اللجان بعض أبناء العصابة الحاكمة يمارسون بيع المخدرات، فتم ضربهم وتهديدهم ومصادرة مبالغ ضخمة منهم.

القيام بعمل مثل هذا مع فرد من أفراد العصابة يعتبر أمراً بالغ الشجاعة في عهد قانون أمن الدولة سيئ الصّيت.

مقتل الشرطي في «الدراز»

في بداية انتفاضة التسعينات، كانت القرى تخرج في مسيرات منفصلة، لكن ومع تطور الأوضاع ابتدأت التجمعات المركزية في البروز.

ومن أوائل هذه التجمعات كان تجمع الدراز بتاريخ ١٦ ديسمبر، فانطلق الشباب من مختلف مناطق البحرين نحو الدراز.

أبو قسّام

في ذلك الوقت كان عمر أبي قسام ٢٢ عاماً، لكنه كان مقداماً وجريئاً في الميدان.

كانت المواجهات في الدراز شرسة جداً، وكان أبو قسّام في الواجهة، أما المرتزقة فقد هجمت على الشباب من مختلف الجوانب، فتراجع أكثر الشباب إلى البيوت، وبقيت القلّة فقط في الشارع، ومن بين من بقي «**أبو قسّام**»، ورغم قلّة العدد إلا أن حدة المواجهات لم تتغير، لكن الغلبة العددية للمرتزقة دفعت بأحدهم كي يتجبر ويتقدم منفرداً نحو الشباب حاملاً معه سلاح الشّوزن.

أما باقي المرتزقة، فكانوا أجبن من أن يتقدموا نحو الشباب، فاكتفوا بدعم صاحبهم عبر الإطلاق من بُعد، فكان بعضهم يستخدم الرّصاص الحيّ، وكان الوضع خطيراً جداً.

بعض الشباب كان ينادي «**أبا قسّام**» كي يتراجع، لكن الشهيد رفض ذلك، ومع تقلص المسافة بين المرتزقة والشباب، فإن الوضع كان يقترب من الاشتباك المباشر باليد، فقام كل واحد من الشباب يحمل شيئاً في يده... البعض حمل قطعة حديد، والبعض الآخر حمل (بارية)، أما «**أبو قسّام**» فحمل حجراً.

ومع اقتراب المرتزقة، فقد كان «**أبو قسّام**» من أوائل المهاجمين له؛ حيث قفز الشهيد عليه ووجّه لكمة إلى الشرطي، ثم تمكن الشباب من إرداء المرتزقة أرضاً في هجمة أرعبت باقي المرتزقة، ودفعتهم للانسحاب تاركين صاحبهم يلاقي مصيره.

«**أبو قسّام**» تمكن من نزع سلاح الشرطي من يده، وكان الجميع يطلبون من الشهيد أن يعطيه السلاح، لكن «**أبا قسّام**» أصرّ على أن يحتفظ بالسلاح كذكرى له لهذا اليوم المجيد.

وبعدها انسحب الشباب فيما أخذ الشهيد السلاح معه...

الشهيدان .. هاني وهاني

في اليوم التالي لتجمع الدراز، توجه الشباب للمشاركة في الفعالية المركزية في السنابس، وهو يومٌ سيذكره التاريخ لأجيالٍ لاحقة، فيوم ١٧ ديسمبر هو يوم «**عيد الشهداء**».

أحداث الدراز ألقت بظلالها على مواجهات السنابس، فبعد وفاة الشرطي في اليوم السابق، فإن شدة القمع تضاعفت.

ومن جانبه فقد برز أبو قسام كقائد ميداني فذ؛ حيث كان يتولى تنظيم الشباب في أحد الشوارع داخل السنابس.

وفي ذلك اليوم اندلعت المواجهات التي كانت الأشرس حتى ذلك الوقت، فالشباب متحمس، والحس الثوري متقدم في صدورهم، كما كان القمع هو الأشرس من جانب المرتزقة؛ حيث تم استخدام الشوزن المحرّم دولياً وذلك للمرة الأولى.

من جانبهم لم يكن الشباب يعرفون ما الذي كان يصيبهم، فقد كانوا مندهشين حينما يرون أجسادهم تشخب دماً دون أن يعرفوا السبب، وتسبب استخدام الشّوزن بإصابات عديدة في صفوف الشباب.

ورغم كل هذا العنف في القمع، إلا أن الشباب قد صمدوا منذ الظهر حتى الواحدة ليلاً، وكان ذلك اليوم حافلاً بالمواجهات والمطاردات، وكان للشهيد دور كبير في شحن الشباب معنوياً، وفي حثهم على الصمود، ويقول أحد المشاركين: «إننا وبعد أن استمرت المواجهات إلى الليل، أردنا الرجوع والانسحاب، فهتف قائلاً: اللي بيمشي يمشي... أما احنا فباقين إلى أذان الفجر أو يطلعون المرتزقة من الديرة».

كان الشهيد يقول هذه العبارة رغم الإصابات التي كان يعاني منها في صدره وبطنه، أما هذه العبارة، فستبقى تلازمه حتى آخر مواجهة يخوضها في الشارع.

هذه المواجهات كانت في ١٧ ديسمبر ١٩٩٤م، وفيها سقط الشهيدان «**هاني الوسطي**» و«**هاني خميس**»، ليتحوّل ذلك اليوم إلى «**عيد الشهداء**».

اعتقال «أبي قسّام»

حادثة الشرطي لقيت صدىً كبيراً، وبعدها قامت قوات المرتزقة بمداهمة العديد من البيوت؛ بحثاً عن الذين شاركوا في تلك المواجهات.

في ذلك الوقت كان الشهيد يسكن مع أهله في شقة بـ«**إسكان السنابس**»، ولكن الشهيد توقف عن النوم في الشقة؛ حيث إنه كان يتوقع الاعتقال في أي وقت.

ولكن حينما تم القبض على مجموعة من الذين شاركوا في الهجمة، يبدو أن الشهيد سمع عن انتهاكات المرتزقة، فأخذته الغيرة، فقرر ألا يترك المنزل للمرتزقة كي لا يقتحموه دون وجود رجل مع النساء.

وحينما عاد إلى المنزل أخبر أهله بقراره، فقالت له أخته: «**لماذا تقول هذا؟**»، فأجابها: «**لأن أصدقائي كلهم اعتقلوا**».

وفعلاً تم الهجوم على الشقة في أواخر ديسمبر ١٩٩٤م، وقامت قوات المرتزقة بالعبث بكل حاجيات الشقة، وتمت مصادرة مكتبة الشهيد.

وبعدها، تم اقتياد الشهيد إلى جهة مجهولة؛ حيث لم يعرف عنه أهله أي شيء عنه لمدة عام ونصف العام.

رحلة التعذيب

وفي الاعتقال دام التحقيق مع الشهيد لفترة عام ونصف، تولى خلالها تعذيبه المعذب «**العكوري**»؛ حيث تعرّض المعتقَلون على يديه لأشد أصناف التعذيب الوحشيّ.

يقول أحد المعتقلين مع الشهيد في هذه القضية؛ إنه تم أخذه للحمام، وكان الشهيد موجوداً في المكتب الذي بجانب الحمام، وبالرغم من الحالة المأساوية التي كان يمر بها كلاهما إلا أن الشهيد كان محافظاً على معنوياته العالية وروحه الفكاهية، ولكي يرفع «**أبو قسّام**» من معنويات صاحبه قام بإخراج لسانه «**يتبحلس**» في حركة ظريفة أضحكت المعتقَل الآخر رغم ما كان يعانيه من آلام التعذيب.

التعذيب لا ينتهي إلا مع انتهاء التحقيق، والتحقيق مع الشهيد استمر لمدة عام ونصف.

لهذا؛ فلا عجب أن تتغير ملامح الشهيد بعد كل التعذيب القاسي الذي لاقاه، ولا عجب ألا يتعرف عليه أهله حينما رأوه للمرة الأولى.

الطامورة

لم يكن الشهيد في زنزانة عادية؛ بل كان في طامورة تحت الأرض بعمق ٧ أمتار، ولولا النافذة الصغيرة في أعلى تلك الطامورة لعاش الشهيد ظلمة تقارب ظلمة «**طامورة السندي**» التي عاش فيها إمامنا «**الكاظم** عليه السلام».

الطامورة دائرية الشكل، وقطرها حوالي ٣ أمتار، ولا درج فيها، حتى الطعام يتم إنزاله بالحبال.

ولم يكن في الزنزانة حمام؛ بل يتم إنزال درج ليصعد عليه الشهيد كي يذهب

إلى الحمام، كان من حق الشهيد الذهاب للحمام مرتين في اليوم فقط، مرة عند الصباح ومرة أخرى عند المساء.

أما إذا احتاج إلى الحمام في أي وقت آخر فكان يتحتم عليه أن ينادي الشرطي الموجود أعلى الطامورة.

وكان على الشرطي الاستئذان من الضابط، وبالتالي فقد يتم السماح للشهيد بقضاء حاجته وقد لا يسمح له بذلك!!.

الأغلال

الأغلال التي كانت على الشهيد لم تكن تقارَن بالأغلال في زماننا، فتلك الأغلال تربط يدي الشهيد برجليه وبرقبته أيضاً!!.

كانت تلك الأغلال تنقسم إلى جزئين:

الجزء الأول: كان عبارة عن ٥ صفائح معدنية صُنعت مِن قِبَل الحداد لتكون ثابتة على جسد الشهيد. هذه الصفائح توضع على رقبة الشهيد وعلى زنديه وكاحليه، وهي تلازم الشهيد طيلة الليل والنهار، وهذا بحد ذاته يعتبر تعذيباً للمعتقل، فهذه الصفائح تعيقه حتى عن قضاء الحاجة وارتداء الملابس.

الجزء الثاني: عبارة عن سلسلة حديدية ثقيلة يتم ربطها بالصفائح باستخدام ٥ أقفال...، وكل هذا الوزن يحدّ من حركة الشهيد ويجعلها بالغة الصعوبة.

الحرمان من الاحتياجات الأساسية

كان الشهيد محروماً من أبسط الحقوق الإنسانية الأساسية، فكان مثلاً محروماً من كل أنواع الحلاقة، فعلى سبيل المثال طال شاربا الشهيد لدرجة أنه لم يكن بإمكانه أن يأكل دون أن يرفعه بيدٍ ومن ثم يتناول طعامه باليد الأخرى،

أما بقية شعر جسمه، فمن البديهي أنه حينما يطول، فإنه يسبب الحساسية والحكّة خصوصاً في فترة الصيف.

كما كان الشهيد يعاني من طول الشعر في الأماكن الحساسة، ومن بين تلك المشاكل كانت الطهارة والصلاة.

إضافة إلى ذلك؛ فقد كان الشهيد يعيش الحاجة الإنسانية للتواصل مع البشر؛ خصوصاً أن عزلته امتدت لعام ونصف، ولكن المتنفس الوحيد أمامه كان الكلام مع المرتزقة الذين كان ينتظر قدومهم بفارغ الصبر كي يتحدث معهم رغم كونهم سجّانيه.

السجن الانفرادي لأيام معدودة يعتبر بلاءً صعباً، قد يفقد فيه الإنسان توازن قواه العقلية، وما عاشه «**أبو قسّام**» كان أحد أقسى السجون الانفرادية في البحرين، وعلى الرغم من ذلك، فإن ذلك البلاء قد تحطم على صخرة إيمان الشهيد الذي حافظ على تماسك قواه العقلية.

بل على العكس تماماً... فالشهيد كان صابراً على بلاء ربّه، وكان يعيش حالة من الاطمئنان والروحانيّة.

في الحوض الجاف

بعد عام ونصف، انتهى التحقيق والتعذيب، وتم الاتصال بأهله كي يزوروه، فكانت تلك هي المرة الأولى التي يعلمون فيها شيئاً عنه.

في الزيارة صُعق أهل الشهيد لما رأوه؛ حيث تغيّر شكله لدرجة أنهم لم يعرفوه في بداية الأمر، وذلك بسبب ما أصاب وجهه وجسمه، وذلك إضافة للأغلال التي تربطه من رقبته إلى قدميه.

على الرغم مما كان يعيشه الشهيد من معاناة، إلا أنه كان يظهر صابراً ثابتاً

أمام أهله، وتعلو وجهه الابتسامة، أما أهله فقد كانوا يبكون لحال ابنهم ولما جرى عليه، وأما هو فكان يطمئنهم قائلاً: «**أنا بخير... لا تحاتون**».

في تلك الزيارة، لم يحضر إخوة الشهيد «**جعفر**» و«**حسين**» و«**مهدي**»؛ لأنهم كانوا معتقلين في سجن جوّ.

ومع انتهاء التحقيق تم تحويل ملف الشهيد للقضاء، فكان هو المتهم الأول في قضية قتل الشرطي.

المحامون كانوا يتوقعون بحقه حكماً قاسياً بالإعدام، وهو ما كان يثير قلق أهله وخوفهم على مصير ابنهم.

استفزازات المرتزقة

في سجن التوقيف في «**الحوض الجاف**»، كان أحد المرتزقة يتعامل مع المعتقلين بتعنت، ويكثر من محاولات استفزازهم؛ فمثلاً كان يتعمد عدم إطفاء الأنوار ليلاً ليضيق الخناق على المعتقلين ويسلبهم النوم. وبعد سلسلة من الاستفزازات من قبل المرتزق، فاجأ «**أبو قسّام**» الجميع بردة فعل شرسة اتجاه الشرطي، وقام بطرده من العنبر بصورة مهينة.

كان «**أبو قسّام**» خارجاً للتو من سجن انفرادي رهيب، وكان يفترض به أن يتحاشى العودة مجدداً لتلك الزنزانة الانفرادية، لكن «**أبا قسّام**» كان أصلب من أن ينحني أما الخوف، طرد الشهيد المرتزقة، لكنه سرعان ما عاد ومعه عدد من الضباط ومجموعة من الشرطة، فقاموا بسحب «**أبي قسّام**» بالقوة إلى خارج العنبر.

أما «**أبو قسّام**»، فكان يصرخ محرضاً الشباب من دون مبالاة للشرطة والضباط، فكان يقول: «**شباب... سأذهب ثم سأرجع لكم... لا تتوقفوا عن التمرّد على الشرطة!**».

تم اقتياد «**أبي قسّام**» بعيداً عن باقي المعتقلين، ولم يعرفوا عنه شيء إلى حين صدور الحكم عليه، لكن يبدوا أنهم زجوه في إحدى الزنازين الانفرادية في سجن «**الحوض الجاف**».

أما المعاملة التي تلقّاها هناك، فأبسط ما نعرفه هو أن رِجل الشهيد كانت مكسورة، فيما تم إصدار الحكم عليه.

قرار القاضي كان مفاجئاً للجميع؛ حيث حكم عليه بالحبس لمدة ١٥ عاماً فقط!!، وذلك خلاف الحكم الذي توقعه محاموه ألا وهو «**الإعدام**».

في سجن جو

رغم أن الشهيد لم يكن محكوماً بالإعدام، إلا أنه لم يتم إزالة الأغلال عنه؛ بل بقيت عليه إلى أن أكمل ثلاث سنوات كاملة.

بعد إصدار الحكم نقل الشهيد من سجن التوقيف الحوض الجاف إلى سجن جو المركزي، وهنالك تم تصنيفه في البداية ليكون في مبنى ٣ من سجن جو، وهناك أصبح برفقة بعض المعتقلين في قضية الشهيد «عيسى قمبر»، وبعد فترة تم نقل الشهيد إلى مبنى ٤، وهناك التقى وللمرة الأولى منذ اعتقاله بإخوته جعفر وحسين ومهدي.

فالسجن الذي شتت العائلة، هو الذي لَمّ شملها. بقي «**أبو قسّام**» في سجن جو لغاية التوقيع على الميثاق في ٢٠٠١م، ولتكون مدة بقائه في السجن سبع سنواتٍ كاملة.

ما قاساه الشهيد كان بالغ الشّدة، لكن لم يغيّر منهجه، ولم يدفع به كي يغادر الساحات؛ بل أن «**أبا قسّام**» صار أصلب في الحقّ وأقوى، وسنرى كيف أن الشهيد ظلّ مخلصاً لذات المنهج الثّوري حتى آخر يومٍ من حياته...

الشهيد بين ثورتين.. استراحة محارب وطاقة تتفجر في كل جانب

أبو قسّام في أحضان العائلة

حينما عاد «**أبو قسّام**» إلى عائلته، فإنه عاد ليكون مجدداً الشخص الأكثر حيوية بين «**آل سهوان**».

ابتسامته لم تكن تفارقه رغم كل ما عاناه في السجن؛ بل كان يشعّ نشاطاً وحيوية أينما كان.

كان الشهيد يصافح الجميع في كل مرةٍ فيها يدخل المنزل، ولم يكن يستثني أحداً كبيراً كان أم صغيراً.

في كل مرةٍ كان الشهيد ينشر البهجة على الجميع، فكان يمزح ويطلق النكات، ويمزج كل ذلك بالنصح والتوجيه عند الحاجة، كان صديقاً لكل فرد في العائلة حتى المراهقين منهم، لهذا فقد كان «**أبو قسّام**» هو الوجهة التي يقصدها الجميع عند مواجهتهم لأي مشكلة.

فقد كان مستمعاً جيداً للآخرين، وبارعاً في حل ومعالجة مشاكلهم ومد يد العون لهم.

كما كانت علاقته مع والدته مميزة جداً، فكان يمازحها دائماً دون أن يقلل من احترامه لها، كما كان يقوم بتدليكها بشكل شبه يوميّ، ويقضي حوائجها ويقوم بشراء ما تحتاجه لها دون أي كلل أو ملل أو تذمر.

شمعة السنابس

حينما نال محمد سهوان حريته وخرج من السجن، باشر بالعمل الإسلامي، ولم يعتزله أو يسمح لانشغالات الحياة أن تبعده عن هذا المسار، أبو قسّام عاد ليكون بحق شمعة من شموع السنابس، وشعلة النشاط في مختلف المجالات، ففي الجانب الاجتماعي كان يعمل على حل مشاكل المتزوجين، وإصلاح ذات البين من أجل الحفاظ على لُحمة الأسر وتفادي انهيارها.

كما كان الشهيد يفتح مجلسه بشكل دائم كل ليلة ثلاثاء، وفيه كان يتسضيف الشخصيات البارزة في المجتمع كالروايد والشّعراء والمفكّرين؛ ليفتح المجال لعقد حلقات نقاشية، تجذب الشباب، وتحاول الإجابة على أسئلتهم.

أما بالنسبة لمشروع تعليم الصلاة، فقد تولى على عاتقه مسئوولية عدة لجان من بينها «**لجنة الترفيه والمسابقات**»؛ هذا إضافة إلى عمله كمدرّس، كان نشاط «**أبي قسّام**» وشخصيته الاجتماعية المرِحة أحد أسباب التفاف الشباب حوله، كما أن ذلك جعله أحد أبرز الشخصيات المحبوبة في سائر قرية السنابس.

كما كان نشاط الشهيد يمتد إلى إسكان السنابس؛ حيث كان ضمن المؤسسين لمشروع تعليم الصلاة في «**مسجد المجتبى**».

الملحمة الخالدة

كما برز «**أبو قسّام**» كأحد أفضل الممثلين على مستوى البحرين؛ حيث

شارك في فرقة مسرحية قدمت العديد من الأعمال المميّزة، هذا التميّز دفع جمعية التوعية الإسلامية لإنتاج عمل ضخم شاركت فيه فرقة أبي قسّام إضافة إلى فرقة أخرى تحت عنوان «**الملحمة الخالدة**»، وذلك في سنة ٢٠٠٣م، وهنالك رأيت «**أبا قسّام**» للمرة الأولى.

وما أدراك كيف رأيته، كان الشهيد يمثل دور الشّمر في المسرحية التي أُقيمت على مسرح «**النادي الأهلي**»، الصالة كانت كبيرة، لكنها كانت تعج بالجمهور الذي كان منقسماً بين الرجال الذين كانوا يجلسون في جانب من القاعة، وبين النساء اللاتي كن يجلسن في الجانب الآخر. الجمهور كان يبكي متأثراً ببعض المشاهد، ولكن حينما جاء دور الشهيد ضجّت الصالة بأكملها بالبكاء والعويل لما أدى من دور متقن جداً، وحينها كنت أعتقد أن التفاعل كان في ذروته... ولكنني كنت مخطئاً...؛ فعندما وصلت المسرحية لمشهد انقضاض «**الشمر**» على «**الإمام الحسين** عليه السلام» تحولّت الصالة إلى بحر متلاطم من البكاء والنحيب، وارتفعت أصوات الرجال والنساء من شدّة التأثر ومن هول المشهد. من يشاهد المسرحية بتمعن ويدقق في تمثيل الأدوار سيرى بوضوح أن الشهيد لم يكن متمالكاً نفسه وهو يؤدي دور «**الشمر**»؛ بل كان يجهش بالبكاء.

من الناحية الفنية، فإن بكاء «**الشمر**» خارج عن النص، لكن قلب الشهيد كان مرهفاً، يغمره عشق «**الإمام الحسين** عليه السلام»، لم يكن يتحمل أداء هذا الدور فكان يرفع يده شاهراً السيف وهو يبكي، وإذا هوى به على جسد «**الإمام الحسين** عليه السلام» يتوقف قليلاً ويبكي مجدداً، بكاء «**الشمر**» كان في حد ذاته يدفع بالجمهور إلى البكاء.

بعد خروجنا من المسرحية، أصرّت عائلتي على الحضور مجدداً لمشاهدة عرض آخر من المسرحية، وهذا الإصرار على الحضور مجدداً لم يكن يقتصر

على عائلتي فقط؛ بل كان شعوراً عاماً لكل من حضر المسرحية.

الضيف القطيفي

في تلك الليلة وقبل أن أصل إلى المنزل، اتصل بي أحد أصحابي، وكان هو الآخر قد حضر المسرحية برفقة ضيف أتاه من القطيف، صاحبي نقل لي إعجاب الضيف القطيفي بالمسرحية، وتأثره الشديد جداً خلال العرض، والأهم أنه كان يريد ١٢ تذكرة لعرض ليلة الجمعة؛ حيث إنهم أرادوا شراء التذاكر، لكن جميع التذاكر ليوم الجمعة قد تم بيعها، والقطيفي كان مصراً على إحضار كل عائلته لمشاهدة المسرحية.

بدوري اتصلت بأحد الإخوة الذين أعرفهم في «**جمعية التوعية**»، والذي كان ضمن الفريق التابع للمسرحية، وعندما أخبرتُه عن أمر القطيفي، رحّب به وقال إنه حتى لو لم يكن هناك تذاكر، فإنه سيؤمّن لهم مكاناً بمجرد حضورهم، فقلت له إن القطيفي مصرّ على شراء التذاكر ودفع ثمنها، ومن منظوري كان ذلك من باب دعم العمل؛ فطلب مني صاحبي أن أذهب للمسرح في اليوم التالي لاستلام التذاكر، وعلى الموعد المحدد ذهبت إلى المسرح؛ حيث استقبلني صاحبي، فوصفت له تفاعل الجمهور في الليلة التي سبقت، وعن إبداع الممثل الذي أدى دور «**الشمر**»، ولم أكن حينها أعلم أن الممثل هو نفسه «**أبو قسّام**».

فأخبرني صاحبي أن الممثل هو «**محمد سهوان**»، وأنه أحد أفضل الممثلين في البحرين واصفاً أداءه بـ«**الإبداع**»، كما أخبرني أن ذات التفاعل كان يتكرر كل ليلة، ثم أخبرني أن أغرب تفاعل رآه كان تفاعل عازف الناي، ففي التدريب تكون البروفات الأولى دون موسيقى، وبعد فترة يتم التدريب على المسرحية مع العزف الموسيقي، ومنذ التجارب الأولى للعزف، كان عازف الناي يعزف بشكل طبيعي طيلة العرض، وحينما يأتي دور «**أبي قسّام**» فإنه يبكي، كان عازف الناي يبكي في كل تدريب؛ بل إنه كان يصرّ على الحضور في كل تدريب حتى لو كان التدريب

دون عزف موسيقي؛ فالعازف كان يحضر ليشاهد «**أبا قسّام**» يبكي، وعلى الرغم من أنه حضر التدريب مراراً إلا أن حرارة المصيبة لم تبرد في قلبه، فكان يبكي بحرارة في كل عرض.

بكاء عازف الناي كان غريباً من نوعه؛ فعينه تصبّ الدمع صباً، لكنه لم يكن قادراً على أن يئن أو أن يشهق حتى لا ينقطع نفسه أثناء العزف، فكان حزنه يظهر في أنغامه.

أخذتُ التذاكر إلى صاحبي، وهو من جانبه أعطاها للضيف القطيفي...

قصة القطيفي لم تتوقف هنا؛ فبعد ليلة الجمعة أُعجِبَت عائلة القطيفي بالمسرحية، وطلبوا العودة مجدداً لحضور عرض ليلة الجمعة التي تليها؛ بل إنهم أصروا على حجز عدد مماثل من التذاكر في كل ليلة جمعة إلى انتهاء عروض المسرحية.

القلب الحسيني

من الأمور التي اكتشفتها في السجن - وذلك خلال استضافة الشهيد في مبنى ٤- أن «**أبا قسّام**» كان يتقطع قلبه ألماً حين أدائه لدور «**الشمر**»، وذلك لما كان لديه من مشاعر مرهفة وحب شديد وعميق «**للإمام حسين** عليه السلام»، وهنا ينبغي لفت نظر القارئ إلى أن بعض الممثلين يرفضون أداء دور «الشمر» حتى لا تتم معايرتهم من الآخرين، لكن موقف الشهيد كان مختلفاً، فلم يكن هنالك من يعايره على أداء هذا الدور؛ بل كان هذا الدور محل ثناء الناس وشكرهم له على أدائه لهذا العمل المميز الذي كان يجسد ملحمة «**الحسين** عليه السلام» في أبهى صورة.

ولكن بالنسبة لـ«**أبي قسّام**»، فإنه يصعب على المحب العاشق أن يرفع السيف على جسد المحبوب حتى لو كان الأمر مجرد تمثيل، فخلال الندوة كان

الشهيد بين ثورتين.. استراحة محارب وطاقة تتفجر في كل جانب

الشهيد يقول - وأحسب أنه كان يتكلم عن الفترة ما بين الملحمة الخالدة ١ والملحمة الخالدة ٢- بأنه ذهب إلى الشيخ «**محمد الصنقور**» يشكو له إصرار الإخوة على مشاركته بتمثيل دور «**الشمر**»، وبأنه لا يستطيع تحمل أداء هذا الدور، وأن يجسد عملية قتل «**الحسين** عليه السلام» في كل ليلة.

فما كان من الشيخ «**محمد الصنقور**» إلا أن أثنى على أداء «**أبي قسّام**»، وألح عليه لإيصال الرسالة الحسينية، وأصرّ عليه أن يواصل تقديم ملحمة كربلاء بمختلف الطرق، كما شدد على أهمية المسرح في ربط الناس بـ«**الإمام الحسين** عليه السلام». أما من ناحية الآلام النفسية التي يعانيها خلال التمثيل، فطلب الشيخ منه أن يتصبر عليها. خلال سرد الشهيد تفاصيل لقائه مع الشيخ محمد الصنقور، كان يكرر عبارات كـ«**ما أقدر**» و«**أصيح**» و«**قلبي ما يستحمل**»، وكان يقولها بحرقة قلب واضحة، وحيث إني رأيت الشهيد يبكي عند أدائه لدور «**الشمر**»، فأعلم أنه كان يتجرع السم في كل ليلة.

الملحمة الخالدة (٢)

في السنة التالية، قدمت جمعية التوعية الجزء الثاني من مسرحية «**الملحمة الخالدة**»، الذي كان أيضاً من بطولة «**أبي قسّام**»، والتفاعل مع الجزء الثاني لم يكن يقل عن الجزء الأول، وكان أحد المشاهد المميزة للشهيد، هو المشهد الذي كان يحمل فيه مشعلاً ملتهباً، وخلال أداء «**أبي قسّام**» للدور سقطت قطعة ملتهبة من المشعل على الأرض، وحيث كانت أرضية المسرح خشبية لذلك فقد كان لابد من إطفاء النار قبل أن تتفاقم، فأسرع الشهيد بالتحرك لحل المشكلة حتى قبل تدخّل باقي طاقم العمل. الشهيد لم يتوقف عن أداء الدور؛ بل واصله بكل ثبات وهو في الوقت نفسه يدوس برجله مراراً على تلك القطعة الملتهبة، فأطفأها دون إيقاف العرض.

ما قام به الشهيد يعكس مدى ثبات قلبه وقدرته العالية على التصرف

في مختلف الـظروف. وهنا من الجيد الإشارة إلى أن نجاح الجزء الثاني من «**الملحمة الخالدة**» دفع جمعية التوعية إلى إنتاج الجزء الثالث في العام التالي، غير أن النص لم يجهز فيما ارتبط الممثلون ومن بينهم «**أبو قسّام**» بأعمال أخرى. حاولت جمعية التوعية تدارك الأمر عبر إنتاج مسرحية أخرى تحت عنوان «**قنسرين**»، لكن هذا العمل لم يكن جزءا ثالثاً من «**الملحمة الخالدة**». مسرحية «**قنسرين**» عانت من عدة أمور؛ مثل غياب النص وغياب الممثلين، وذلك رغم الجهود المخلصة لطاقم العمل.

إبداع الممثل الشمولي

لم يكن إبداع «**أبي قسّام**» مقتصراً على أداء الأدوار الجادة والحزينة - وإن كان أداؤه للأدوار الحسينية هو الأكثر إبداعاً - بل كان أبو قسّام ممثلاً فكاهياً قادراً على ملء القاعات ضحكاً وبهجةً، وله العديد من المسرحيات المصوّرة والتي كان العديد منها يقام في قاعة المركز الثقافي بالسنابس، كان أبو قسّام بارعاً في الفكاهة لدرجة أن من يراه في مسرحية فكاهية لا يصدّق أن الشهيد يصلح للأدوار الجادة.

وفي المقابل؛ فإن من يراه في الأدوار الجادة لا يمكن أن يصدّق أنه ممثل فكاهي بارع، إن من يعرف أبا قسّام على خشبة المسرح، فإنه يعلم أن الشهيد هو أحد الممثلين الشموليين القادرين على أداء مختلف الأدوار بإتقان بالغ جداً.

«الرافض للظلم في زمن الصمت»

حينما تقف ضد الظلم وحيداً فأنت شجاع حقاً

النشاط السياسي للشهيد

كان أبو قسّام يعمل كحاجب في المحكمة، والوظيفة الحكومية هي حلم العديدين، فهي توفر لهم الاستقرار المادي، لكن الشهيد لم يسمح لهذه الوظيفة أن تملكه وتعطله عن واجبه المقدس في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن أبرز المواقف التي أظهر فيها الشهيد شجاعة استثنائية واستماتة من أجل الإسلام، هو في مسيرة ٢٠٠١م التي توجهت إلى السفارة الأمريكية، وفي المسيرة التي سقط فيها الشهيد «**محمد جمعة الشاخوري**»؛ فرغم أن الشهيد كان خارجاً للتو من السجن إلا أنه لم يتراجع عن نهجه الثّوري الذي كان يضع الشيطان الأكبر على رأس قائمة أعدائه.

أبو قسّام لم يكتفِ بالتظاهر أمام السفارة؛ بل اقتحم حرمها بكل شجاعة، فتجاوز الأسلاك الشائكة، وصعد على السور الخارجي لها حاملاً علم حزب الله اللبناني المقاوم، وتمكن من الوصول إلى سطح السفارة متجاوزاً كل الخطوط الأمنية في المبنى المحصّن! ومن على سطح السفارة قام بإلقاء العلم الأمريكي على الأرض وسط تصفيق الحشود المجتمعين أمام السفارة، وهنالك فيديو

موثّق يظهر فيه قيام الشهيد بإلقاء العلم.

هذا الموقف يظهر بوضوح أن بوصلة الشهيد كانت تعتبر «**أمريكا**» العدو الأول للإسلام، وهي الشيطان الأكبر الذي لابد من إسقاطه.

البوصلة السياسية في الشأن المحليّ

أما بالنسبة للشأن المحليّ، فإن الشهيد كان شديد الحرص على المشاركة في مختلف الفعاليات، الندوات، المسيرات، الاعتصامات، والمواجهات، كان الشهيد يقول: «م**ادام آل خليفة في البلد، فلن يهدأ لي بال**». وفي سنة ٢٠٠٧م عندما سقط الشهيد «**علي جاسم**» من منطقة (جد حفص)، كان للشهيد موقف مشرف في حشد الناس في السنابس، والخروج بهم في مسيرة قام هو بنفسه بتقدمها، وتوجّه بها نحو منزل الشهيد علي جاسم في جد حفص، وذلك استنكاراً لما قامت به المرتزقة من سفك دمه الطاهر.

عيد الشهداء ٢٠٠٩م

كان الشهيد دائم الحضور في عيد الشهداء رغم القمع الأمني المتواصل في إحياء هذا اليوم، الذي يشهد على ظلامة شعب البحرين، وفي العام ٢٠٠٩م، حدثت مواجهات شرسة في السنابس؛ حيث كان الشهيد يخوض المواجهات مرتدياً اللثام لتفادي تعرّف الأجهزة الأمنية عليه.

فقامت المرتزقة بتنفيذ كمين، انسحب على إثره أغلب الشباب في الشارع، فيما رفض الشهيد المغادرة -وهو ذات المنطق الذي تبناه الشهيد خلال التسعينات -، وعوضاً عن الانسحاب قرر الشهيد الصعود على إحدى غرف الكهرباء؛ حيث قام بتغطية نفسه بحيث لا يتم رصده، وبعد عدة دقائق كانت قوات المرتزقة تطارد طفلاً في الخامسة عشرة من عمره، وحينما وصل الطفل إلى المحطة أراد الصعود، فمدّ أبو قسّام يده لكي يساعده.

«الرافض للظلم في زمن الصمت»

لكن قوات المرتزقة رأتهما، وسارعت لتسحب الطفل قبل أن يتمكن أبو قسّام من رفعه للأعلى، بعدها صرخ أحد المرتزقة بـأبي قسّام كي ينزل، لكنه رفض ذلك وقال لهم: «**إذا كنتم رجالاً فتعالوا**!».

المرتزقة، وعلى الرغم من كثرة عددهم، إلا أنهم لم يكونوا ليواجهوا رجلاً أعزلاً، وعوضاً عن ذلك قاموا بإطلاق الرصاص المطاطي عليه بشكل مباشر ليفقد الشهيد الوعي، ثم قام المرتزقة بإنزاله وتقييده بقيد بلاستيكي - سيركليب - حيث يوجد تسجيل مصوّر يوثّق الحادثة برمتها لغاية إنزال الشهيد، وبعد ذلك تم وضعه في «**جِيب الشرطة**»، وأخذه إلى مدخل السنابس، وهنالك عند المدخل استعاد أبو قسّام وعيه ليرى نفسه مقيداً، وكان قميصه مرفوعاً على رأسه لمنعه عن الرؤية، لكن الشهيد تمكن من معرفة أنه لازال في السنابس، وحينها قرر الفرار؛ فخرج من سيارة الجيب وأسرع هارباً، إلا أن المرتزقة عاجلوه بطلقة مطاطية أخرى ليغمى عليه مجدداً.

بعدها تجمع المرتزقة على الشهيد، وأبرحوه ضرباً بلا رحمة في كل مكان من جسده حتى أن ملابسه تمزقت من شدّة الضرب.

وفي اليوم التالي، تم عرض الشهيد على وكيل النيابة، ومن المهم الالتفات إلى مرارة أن يكون زميلك في العمل، والذي تربطك به علاقة شخصية، هو ذاته وكيل النيابة الذي يحاول إثبات التهمة ضدك.

فأبو قسّام كان يعمل في المحكمة، ومن الطبيعي أن يعرف وكلاء النيابة ولو بشكل سطحي، هذا على أقل تقدير، وأبو قسّام وقف أمام وكيل النيابة وثيابه ممزقة وبحالة يرثى لها!، فالمرارة التي كان يشعر بها كانت مضاعفة، وعلى الرغم من كل هذا، فمعنويات الشهيد كانت عالية جداً حينما خرج من عند وكيل النيابة؛ فقد أبرحته الشرطة ضرباً أمام ناظري عائلته، فرفع لهم علامة النصر وهو يقول: «**لا تحاتون... أمورنا طيبة**».

وفي هذا الاعتقال، تم احتجاز أبي قسّام في سجن التوقيف لمدة ثلاثة أشهر قبل الإفراج عنه، كما تم فصله من العمل في المحكمة. خسارة الوظيفة هو أمر بالغ المرارة وثمن باهض، ولكن لا مجال للندم في سبيل الله.

رعاية الأجيال

قبل ثورة «١٤ فبراير»، كان هناك خلاف كبير حول مشاركة الفئات العمرية الصغيرة في الحراك الميداني، وكان الشهيد مؤمناً بضرورة نقل الشعلة الثورية إلى الأجيال القادمة؛ كي يواصلوا الجهاد ضد العصابة الحاكمة؛ ففي إحدى الأيام خرجت مجموعة ملثمة من الشباب الثوري في السنابس، وقاموا بحرق الإطارات في الشارع.

ثم جاءت مجموعة من الصغار يريدون المشاركة، فقام الشباب بصرفهم خوفاً عليهم، لكن الشهيد كان له رأي آخر؛ حيث اعترض على الشباب قائلاً: «إذا ما تحملتون بهذا الجيل فمنهو اللي راح يتحمل بهم؟!، هذا هو جيل المستقبل... لا تطردونهم؛ لأنهم هم اللي راح يواجهون آل خليفة».

وها نحن اليوم نشهد كيف أن أولئك الصغار، قد اشتد عودهم، واستلموا الراية! وكيف أنهم نقلوا العمل الميداني لآفاق لم يكن يحلم بها أحد! ومن المهم اليوم أن نتوجه بالرعاية إلى الأجيال القادمة؛ كي تستمر شعلة العمل الثّوري وصولاً لثورة «صاحب العصر والزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف».

الشهيد في ثورة «١٤ فبراير»

القائد الذي لا ينزل الميدان ليس بقائد

في انطلاق ثورة ١٤ فبراير

وفي يوم ١٤ فبراير، كان الشهيد على أتم الاستعداد للخروج في مسيرة السنابس، فخرج فيها حاملاً علم البحرين، فيما كان صوته يصدح بالتكبير والشعارات في شوارع السنابس، وحينما كان الشهيد يمر على البيوت، فقد كان يطرق الأبواب وينادي الشباب؛ كي ينضموا للحراك. المسيرة انطلقت من داخل السنابس أولاً، ثم توجهت نحو إسكان السنابس، ومنها إلى الشارع المؤدي إلى دوار الدانة.

وعند الدانة تعرضت المسيرة للقمع على أيدي المرتزقة؛ حيث تعرّض الشهيد لطلق مطاطي في رجله، لكن ذلك لم يمنعه من مواصلة الاحتجاج؛ حيث واصل رفع العلم وشعار النصر، أما إصابته فكان يعتبرها بسيطة، ولم يعبأ بها.

القيادي أبو قسّام

كان أبو قسّام من بين النخبة التي أسست «ائتلاف شباب ١٤ فبراير»، وظلت سِرّية إلى حين استشهاده. ملف إنجازات الشهيد في الائتلاف لا يزال محاطاً

بالكتمان، وقد لا نعرف عنه أي شيء لعدة سنوات قادمة، ولكن هنا نرى عدة دروس مهمة؛ أولها: أن القائد هو من يتقدم إلى الصفوف الأمامية، ولا يكتفي بإصدار التوجيهات، فيضع الآخرين في موقع المواجهة والخطر فيما يبقى هو في أمان، وسنرى عدة مواقف ترينا كيف أن القائد كان فدائياً في الميدان، وأنه كان يضع نفسه على المحك في سبيل إنقاذ الآخرين، «**وقد رأينا كيف أنه كشف عن مخبأه في ٢٠٠٩م كي ينقذ الطفل**».

الدرس الثاني: هو أن الشهيد حافظ على سِريّة مشاركته في تأسيس الائتلاف، فلم يخبر أحداً بذلك على الرغم من بقائه في السجن لسنوات طويلة. ما قام به الشهيد حافظ على باقي المؤسسين، ومكّنهم من العمل في الخارج، ولو تكلم الشهيد لكانوا عرضة للخطر.

في الدوار

كان الشهيد من ضمن الأفواج الأولى التي تصل إلى الدوار، البقاء في الدوار والهتاف عند الرخاء هو أمر سهل، ولكن حينما تأتي الهجمات، فإن القلة فقط هي من تضع نفسها على المحك، فعندما وقعت الهجمة الأولى للدوار، كان الشهيد نائماً في الخيمة - التي تقع في الجهة المقابلة للجسر - قبالة الكوبري، وفي ليلة الهجوم نام الشهيد إلى جانب إبريق شاي معدني، فخلع نظارته ووضعها بجانبه ثم نام، ولما وقع الهجوم ارتفعت الأصوات، قفز الشهيد من النوم، وفي حركة سريعة قام بارتداء النظارة، وحمل الإبريق، ثم انطلق هاجماً على المرتزقة.

أبو قسّام كان واحداً من بين قرابة الخمسين شخصاً الذين اشتبكوا مع المرتزقة باليد، وذلك قبل أن يضطروا للانسحاب بسبب الاستخدام المكثف للغازات الخانقة.

الإصابة

وفي ٢٠١١م، وبعد أن تم قمع الدوار للمرة الثانية، تحولت المواجهات إلى المناطق والقرى؛ حيث كانت المواجهات تتجدد وبشكل يومي في أغلب المناطق، فكان القمع الوحشيّ هو لغة النظام في وجه المتظاهرين العزّل.

في السنابس، ومع اشتداد القمع، انسحب أغلب المتظاهرين، لكن أبا قسّام أصرّ على موقفه السابقة؛ من عدم مغادرة الشارع مادام المرتزقة فيها، فكان أبو قسّام يقول: «**إذا هذيلين في الديرة أنا ما أدخل**».

لم يكن بالإمكان القبض على الشهيد بسهولة، بسبب معرفة أبي قسّام بشوارع قريته؛ إضافة إلى بنيته الرياضية التي حافظ عليها رغم أنه حينها كان يناهز الأربعين من عمره، لكن شاءت الإرادة الإلهية أن تجتمع عدة ظروف في آن واحد، وأن يتعرض للإصابة، فحينما كان الشهيد في أحد الشوارع، رأى المرتزقة تقترب من ابن أخيه الذي كان عمره حوالي ١٥ عاماً.

فما كان من الشهيد إلا أن رماهم بحجر كي يلتفتوا إليه ويتركوا ابن أخيه، وحينما حوّلوا انتباههم إلى أبي قسّام، أراد أن يلوذ بالفرار، لكنه تفاجأ بقدوم فرقة أخرى من جهة لم يتوقعها، فأصبح الشهيد أمامهم وجهاً لوجه، والمسافة بينه وبينهم لم تكن إلا ثلاثة أمتار.

التفت أبو قسّام محاولاً الهروب، لكن عدداً من المرتزقة اطلقوا عليه رصاص الشوزن، فأمطروا جسده بزخات من هذه الشظايا المحرمة دولياً، المسافة كانت قريبة جداً، ولكن أغلب الشظايا استقرت في رأسه ورقبته وظهره؛ بل إن عدد الشظايا في رأسه لوحده كان حوالي (٨٠) شظية، استقرّ بعضها في عظام جمجمته.

استهداف الرأس هو دليل واضح على أنهم كانوا يريدون قتل المتظاهرين

لا مجرد تفريقهم، حاول الشهيد الفرار في شوارع السنابس رغم حجم الإصابة، فتمكن من الابتعاد عن المرتزقة، لكن نزيف الدم كان غزيراً، فخارت قواه ليسقط فاقداً للوعي أمام أحد المنازل، أهل ذلك البيت سحبوا أبا قسّام للداخل، لتكون تلك آخر مواجهة يخوضها الشهيد، ولعل تلك الإصابة كانت أحد العوامل التي أدت لوفاته ولو بعد حين، وبعد الإصابة غاب أبو قسّام عن الساحة، ولم يسمع به أحد إلى أن تم اعتقاله...

خلية قطر

في البحرين تلقّى الشهيد الرعاية الطبية الأولية، لكن الشظايا كانت قد انغرست في جمجمته، ووصلت إلى مناطق حساسة في الظهر والرقبة، وصار من الخطورة التعامل معها في البحرين؛ بل كان لابد من نقل الشهيد للخارج لتلقّي الرعاية الطبية الملائمة. الشهيد كان مطلوباً، وقد تعرض منزله للمداهمة من قبل المرتزقة، وبالتالي كان لابد له من الخروج من البحرين بطريق غير رسمي، وبالفعل تمكن الشهيد من مغادرة البحرين ليتّجه إلى السعودية، لكن تم إلقاء القبض عليه في قطر؛ حيث تم تسلميه للبحرين، وفي هذا الاعتقال تم اتهامه بالتخابر، وهي القضية التي عرفت باسم (خلية قطر).

في ذلك الوقت، فإن المحامية هي من جاءت إلى أهل الشهيد طالبة الترافع عنه، فكانت تقول: «محمد كان يعمل في المحكمة، وخلال عمله لم يكن يقصر معنا، فأريد أن أرد له بعض الجميل».

قد صدر في حق الشهيد حكماً قاسياً وذلك بالسجن ١٥ عاماً، وفي الاستئناف تم تخفيف الحكم إلى ١٠ أعوام.

الشهيد في مقبرة الأحياء

الشهيد حي في قبره؛ بل إنه يبعث الحياة في المقبرة بأسرها

عند زاوية المصلّى

كان لقائي الشخصي الأول مع أبي قسّام في سنة ٢٠١٤م؛ حيث شاء الله أن يجمعنا في مبنى ٤ من سجن جو المركزي، كان اللقاء في أول صلاة فجر لي في المبنى؛ حيث كانت الأبواب تفتح لصلاة الفجر، فكانت العنابر ٤-٥-٦ تلتقي معاً في المصلّى؛ علماً أن الشهيد كان في عنبر ٤، أما أنا فكنت في عنبر ٦.

أبو قسّام كان يصلّي في مكانه المعتاد، وهو الزاوية الخارجية للمصلّى، وإلى جانبه كان يصلّي دائماً نزيل لبناني الجنسية، ويبدو أني لم أكن قد استوعبت الوضع بصورة تامة، لأني صليت إلى جانب أبي قسّام دون أن أعرف!!.

احتاج الأمر مني عدة أيام قبل أن أكتشف أن الرجل الأسمر صاحب النظارة هو ذاته محمد سهوان، الذي كنت أحب رؤيته على خشبة المسرح. لم يكن أبو قسّام طويلاً؛ بل كان معتدل الطول، لكن كان عريض المنكبين وصاحب جسد رياضي منحوت حتى وإن كان يحاول إخفاءه خلف ثيابٍ فضفاضة، كنت أصافحه كما أصافح باقي المعتقلين قبل الانسحاب إلى عنبر ٦؛ حيث كان الإخوة

يقرؤون دعاء الصباح.

كنت أنام في الممر وحدي؛ حيث غرفتنا كانت أولى الغرف امتلاءً في المبنى، وعندما تكلمنا مع أحد الضباط وافق على فتح باب الغرفة كي أتمكن من الدخول عند الحاجة. شخصياً كنت أستغل الإنارة في الممر من أجل القراءة، ومن جانبه لاحظ أبو قسّام ذلك، فجاء إليّ بعد عدة أيام، وسألني عبر بوابة العنبر قائلاً: «**أنت فلان**؟»، فأجبته: «**نعم**».

فقال لي إن أخته تعمل مع أختي، وإنها أوصته بي خيراً، ثم أردف قائلاً: «**شكلك تحب القراءة؟ راح أجيب لك كتاب يعجبك**»، وبالطبع رحبت بهذا العرض المغري.

في صباح اليوم التالي، أحضر لي الشهيد قصة من ٢٠٠٠ صفحة (نعم ألفي صفحة)، تتكلم عن تاريخ بعض المدارس الفكرية الأولى، وكانت الصفحة الأولى تحمل اسم صاحب الكتاب الأصلي «**حسين سهوان**»، ورغم صفحاته الكثيرة إلا أن الكتاب أعجبني فعلاً كما توقع الشهيد وإن كان رفع الكتاب قد أنهك ذراعي.

العائدون من التسعينات

كان مبنى ٤ أكبر مبنى في السجن، وكان أمثال أبي قسّام يُعتبرون عُملة نادرة جداً، الحماسة قد تأخذ بزمام الشباب نحو العمل الثوري، ولكن حينما يدخل الإنسان السجن، فإنه يترك مساره ويميل إلى حياة الراحة؛ لهذا فإنهم لا يعودون إلى السجن مجدداً. في ذلك الوقت دار النقاش حول الأمر، ولم ينته النقاش إلا بعد أن قمنا بإحصاء من خاض السجن في التسعينات ثم عاد في ثورة ٢٠١١م ليشاركنا السجن - الحديث هنا عن الأشخاص الموجودين في السجن لحظة النقاش -.

المفاجأة أن عددهم لم يصل إلى العشرين معتقلاً في كل سجن جو، أبو قسّام كان من بين القلّة التي دفعت الثمن غالياً، ورغم ذلك لم يتراجع عن طريق ذات الشوكة.

شخصية أبي قسّام

لا يختلف أيٌّ من السجناء الذين عاشوا مع الشهيد حول طيبة أبي قسّام وابتسامته الدائمة وضحكته المميزة، وإحدى الحركات اللطيفة التي كانت تميز الشهيد، هي أنه كان ينادي الناس من حوله بعبارة: «**يا الطيب**»؛ حتى إن بعض زملائه صار يقتدي به في استخدام هذه الكلمة اللطيفة.

لم يكن أبو قسّام يستخدم كلمات غير لائقة في كلامه أثناء حديثه؛ ناهيك عن قيامه بفعل ينافي الأخلاق الإسلامية؛ بل على العكس تماماً، فقد كان يقابل الإساءة بالإحسان، ففي أحد الأيام انفعل أحد المعتقلين مع الشهيد، فصار يصرخ على أبي قسّام، وبتلفظ بألفاظ غير لائقة في حقه.

ولم يكن من الشهيد سوى التبسم في وجهه والقول: «**رحم الله والديك، ما قصرت**»، فكان الشهيد يكرر هذه العبارة كلما تكررت الإساءة.

كما كان الشهيد مواظباً على صلاة الليل، ولأن غرف عنبر ٤ كانت تضيق بالسجناء؛ لهذا فقد كان الشهيد يفرش سجادته في الممر متوجهاً إلى ربه.

الجانب الرياضي

الشهيد كان لاعباً متمرساً في لعبة التكواندو؛ إضافة إلى كونه مدرباً ماهراً فيها، ورغم المستوى الرياضي المتقدم الذي كان يتمتع به الشهيد، إلا أنه كان يراعي تفاوت المعتقلين في قدراتهم البدنية، وكان الشهيد ينظم حلقة تدريبات رياضة تستهدف غير الرياضيين من الراغبين في التخسيس وإنقاص الوزن.

وفي هذه الحلقة كان يشارك قرابة العشرين نزيلاً من بينهم عدة من الأجانب من جنسيات مختلفة، ونجح أبو قسّام في رفع مستوى اللياقة البدنية لدى العديد من النزلاء، حتى أن بعضهم لايزال محتفظاً بذات اللياقة لغاية اليوم.

إضافة إلى تلك الحلقة؛ فقد كان الشهيد يخصص جزءا من وقته لتقديم تدريبات خاصة في التكواندو، فكان يختار وقت الغداء الذي يكون بعد صلاة الظهر، ففي هذا الوقت كانت الساحة تخلو من المعتقلين، ولا يبقى فيها سوى الشهيد ومعه اثنان من تلامذته، كان الشهيد يضع في يديه نعالاً (حذاء) يستخدمه في صدّ ركلات التلميذين خلال التدريب.

كل هذا النشاط، كان مجرد غطاء يراه السجناء، في حين كان الشهيد يعاني من آلام شديدة بسبب شظايا الشوزن المغروسة في جسده، وهي معاناة تتجدد مع كل موجة برد، وفي كل مرة تزداد فيها برودة المبنى بسبب المكيف، فحينما تحفظ درجة الحرارة، فإن الشظايا الحديدية تمتص البرودة، وتسبب له صداعاً وألماً بالغ الشدة.

المهرجانات

كما قام الشهيد بتنظيم مهرجان بالغ الضخامة للألعاب الجماعية؛ حيث حقق المهرجان نجاحاً غير مسبوق في تاريخ المبنى؛ بل في كل تاريخ السجن، ولغاية اليوم، فإن السجن لم يشهد له مثيلاً، ففي المهرجان كانت ساحة مبنى ٤ تمتلئ عن بكرة أبيها ما بين لاعب ومشاهد، وذلك في اليومين اللذين أقيم فيهما المهرجان.

المهرجان تضمن ألعاباً شعبية مثل «العقيلة»، وألعاباً فكاهية مبتكرة مثل كرة القدم...، ولكن يتم استخدام فانية (قميص) كبيرة يرتديها لاعبان من ذات الفريق، فيكونان ملتصقين ببعضهما البعض ظهراً لظهر، مما يجعل المباراة

فكاهية، فأحد اللاعبين يركض للأمام والآخر إلى الخلف.

الشهيد نفسه كان لاعباً ماهراً في عدد من الألعاب؛ حيث تمكن من إحراز المركز الأول في عدد منها؛ مثل لعبة البالونات المربوطة بالقدم، ومن المواقف التي تريك شعبية المهرجان ومقدار الحماس في التنافس، أن اللاعبين كانوا ينزلقون على الأرضية الإسفلتية فاقترح عليهم الشهيد اللعب حفاة.

وبسبب ذلك تعرض العديد منهم لجروح في باطن القدم، وبعد المهرجان امتلأت العيادة بالمعتقلين لتضميد جروحهم بما فيهم الشهيد نفسه الذي جرحت قدمه، الشهيد كان حريصاً على تصوير المهرجان بالفيديو؛ حيث تم تصوير المسابقات بأحد الهواتف، وتم إرسال المقاطع لخارج السجن.

الجانب التاريخي

الشهيد كان رياضياً لكن ذلك لم يمنعه من أن يكون مثقفاً وصاحب فكر، فكان أبو قسّام مطّلعاً في عدة مجالات، لكنه في الجانب التاريخي بصورة أكبر من بقية المجالات.

فكنا إذا ذهبنا إلى سماحة الشيخ «**علي المسترشد**» بسؤال مرتبط بالتاريخ وسيرة أهل البيت عليهم السلام، فإن سماحته كان يجيبنا إلى حد معين، ثم يحيلنا إلى أبي قسّام، ويقول لنا إنه أفضل شخص في هذا المجال في المبنى.

شخصياً كنت أقصده بالعديد من الأسئلة، فكان يجيبني بكل رحابة صدر، وكنت أتفاجأ بسعة اطلاعه؛ حيث كان يحيلني على مصادر متعددة تشمل حتى مقالات في جرائد لبنانية.

دورة إدارة المشاريع

كما قدم الشهيد دورة حول إعداد المشاريع، وهي دورة تعكس لك ثقافته

الواسعة في مختلف الجوانب، هذه الدورة تبدأ بوضع رؤية المشروع وأهدافه، ثم تنتقل إلى التخطيط والتمويل، وصولاً لتنفيذ الخطة وإدارة المشروع.

كانت الدورة مهمة للسجناء الراغبين في فتح مشروع تجاري لدى خروجهم من السجن، بحيث تتبلور الفكرة لديهم هنا، وتكون جاهزة للتنفيذ فور تلقيهم لحريتهم، ولكن أهداف الدورة كانت أوسع من ذلك؛ حيث كان الشهيد يستهدف المشاريع الإسلامية بذات الطريقة! ولماذا لا نقوم ببناء المشاريع الإسلامية على أسس قوية تستفيد من العلوم الإدارية الحديثة، بحيث تكون لهذه المشاريع فرصة أكبر في الاستمرار؟ على سبيل المثال؛ أحد الطلبة السجناء كان يفكر في مشروع معهد يجمع الجانب الدراسي والجانب الديني معاً، فإذا كان أهالي الطلاب جادين في إحضار أبنائهم إلى المعهد كي يتعلموا الرياضيات واللغة الإنجليزية، فلماذا لا نقدم لهم أيضاً دروساً في الصلاة والقرآن ضمن ذات المعهد؛ كي يحقق الطالب أقصى استفادة من وجوده هناك؟

ورغم أن الدورة ليست موجهة لجميع المعتقلين، إلا أنها لاقت إقبالاً دفع الشهيد لإعادة تقديمها عدة مرات.

الدروس الدينية

وكان الشهيد يعطي عدة دروس دينية في العنبر؛ مثل القرآن والعقائد وغيرها، وكان لدى الشهيد القدرة على جذب الشباب الذين كانوا يملؤون أرضية الغرفة حتى قبل بدء الدرس، ولعل أسلوب الشهيد كان عامل الجذب الأكبر للشباب؛ حيث كان أسلوبه يمتاز بالبساطة والفكاهة.

كما كان الشهيد يزور عدداً من العنابر لتقديم دورات مختلفة؛ مثل دورة «**الإنسان الرسالي**»؛ إضافة إلى تلبية الشهيد لدعوات باقي العنابر ليكون ضيفاً في ندوات متنوعة.

الاهتمام بشؤون المسلمين

لم يكن اهتمام الشهيد محصوراً بهمه الشخصي اليومي داخل السجن بمعزل عن شؤون الأمة، فكان الشهيد يقصد غرفة التلفاز يومياً في الصباح الباكر من أجل متابعة نشرة الأخبار.

ولم يكن الشهيد يكتفي بذلك فقط؛ بل كان يخصص جزءا من اتصاله لمتابعة الشأن المحلي، فكان الشهيد ملماً بالعديد من المجريات ومستجدات الوضع وبدقة عالية.

حماية الشباب

وعلى صعيد الشؤون الداخلية للعنبر، فقد كان الشهيد يعيش حالة خوف دائم على المستضعفين من الشباب، وكان يخشى عليهم من الانجرار مع العصابات الضالة، ويحذرهم دوماً من هذا الأمر، وكما كان ينبههم إلى الأمور التي تثير الفرقة وتشتت الوحدة.

وينقل أحد الشباب أن الشهيد استوقفه عند الخروج إلى الساحة، وأخذ يكلمه على انفراد في الممر المؤدي إلى الساحة، فحذره من بعض الفتن المنتشرة والتي تشق الوحدة، وحينما اطمأن الشهيد إلى أن هذا الشاب ليس من النوع الذي ينجر وراء هذه الأمور، فإنه لم يكن يتطرّق إلى هذا الموضوع معه مرة أخرى.

النور المحمّدي

مع بداية ٢٠١٥م، كان السجن يشهد انفتاحة استثنائية، وكان «مبنى ٤» يضم حوالي ألف معتقل مما يجعله أقرب إلى قرية صغيرة ومجتمع متكامل يحوي مختلف أصناف البشر ومختلف الطاقات، الانفتاحة حملت معها عبثاً كبيراً،

فالعمل الإسلامـي كان لايزال محدوداً، وفي أقصى الحالات كان يتم تنظيم احتفالات مشتركة بين عنابر الجانب الواحد.

لكن كان «**أبو قسّام**» صاحب رؤية تمتد أبعد من ذلك، كان الشهيد ينظر للعمل الإسلامي من منظور مختلف عن الآخرين، فـ «**أبو قسّام**» لم يكن ينظر للجانب الديني بمعزل عن العمل الاجتماعي أو الجانب الرياضي، كما أنه لم يقتصر في وجهة نظره على أبناء مدرسة أهل البيت عليهم السلام بمعزل عن إخوانهم من عامة المسلمين.

كان الشهيد يدرك ضرورة مراعاة كافة الفرق الإسلامية ودمجها ضمن مشروع مركزي واحد يضم كامل المبنى.

كما كان يرى ضرورة قراءة احتياجات الأجانب المنقطعين عن أهلهم، وأن يتم توفير احتياجاتهم الأساسية ضمن منظور إسلامي يحمي هؤلاء من الفاقة ومن سوء الاستغلال، كان الشهيد هو صاحب فكرة مشروع «**النور المحمّدي**»، فذهب بفكرته إلى كل من «**الأستاذ محمد سرحان**»، و«**أبو رضا (عبدعلي خير)**»، وتعاون الثلاثة لصياغة مسودة المشروع الذي كان أوّل مشروع شموليّ يغطي مختلف الجوانب في كل تاريخ السجن.

تدشين المشروع

تم الإعلان عن مشروع «**النور المحمّدي**» في أحد الاحتفالات المركزية على مستوى المبنى، ولازلت أتذكر في الإعلان كلمات الشهيد وهو يقول بأن هذا المشروع سيكون القدوة لكافة المشاريع اللاحقة في السجن حتى بعد عشر أو عشرين عاماً من التدشين، وبعد كلمة المؤسسين تم فتح المجال أمام الجمهور لإبداء الملاحظات، فانصب النقاش على نقاط جزئية وعلى آليات إقرار المشروع، ولكن سرعان ما استقر الرأي على أن يتم طرح المشروع للتصويت في مختلف

العنابر وذلك لضمان الأخذ برأي المعتقلين، ولكل عنبر أن يحدد إن كان يريد الانضمام للمشروع أم لا.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن الشخصيات التي دعت للمشروع «**أبو قسّام**»، «**الأستاذ محمد سرحان**»، و«**أبـو رضـا**»، كانت تحظى بمكانة عالية لدى المعتقلين وشعبية جازفة، وهذا ولّد لدى المعتقلين ثقة خاصة بهم.

مما انعكس على نتائج التصويت على المشروع؛ حيث تم إقرار «**النور المحمّدي**» في كل العنابر وبلا استثناء! بل كان الإقرار بأغلبية ساحقة جداً، نتائج التصويت أعطى المشروع دفعة استثنائية، وأكسبت «**النور المحمّدي**» دعماً جماهيرياً.

ويعد التصويت على أصل المشروع، تم إجراء انتخابات في العنابر لكي يختار كل عنبر من يمثله في إدارة «**النور المحمّدي**»، ومع انتخاب الإدارة انقسم العمل إلى شقين:

- **الشـقّ الأول:** كان مراجعـة مسـودة المشـروع وإجـراء التعديـلات اللازمة عليها .
- **الشـقّ الثانـي:** كان تأسـيس اللجـان ومباشـرة العمـل، فـلا داعـي لتأخيـر المشـروع مـن أجـل بعـض النقـاط الهامشـية، علـماً أن أغلـب المسـودة الأصليـة تـم إقرارهـا مـن دون تعديـل، وكانـت أغلـب التعديـلات منصبـة علـى الصياغـة لا علـى جوهـر المشـروع، ومـن المهـم الالتفـات إلـى أن اللجـان التـي تأسسـت كانـت تجسـد بحـق رؤيـة المشـروع، ففيهـا اجتمعـت مختلـف الطوائـف والفئـات، وذلـك فـي واحـدة مـن أجمـل فتـرات السـجن، مثـل هـذه اللجـان لـم تكـن لتتحقـق لـولا مكانـة المؤسسـين لـدى مختلـف الفئـات فـي المبنـى.

مع تحقق الحلم جاءت ضربة ٢٠١٥م لتكتم النور، فبعد الضربة تم نقل «**أبي قسّام**» و«**الأستاذ محمد سرحان**» من المبنى؛ حيث لم يبق في مبنى ٤ سوى «**أبو رضا**» الذي انتقل لاحقاً من المبنى هو الآخر.

وهنا لابد أن أقول كلمة... البعض يدعي أن «**النور المحمّدي**» كان بسبب حدوث انشقاق في المبنى، وأنا كنت هناك، ولم أرَ ما يدّعون؛ بل إن وقائع التاريخ تكذّب ذلك، فالمشروع كان محل إجماع المبنى، والدليل على ذلك هو النتيجة الساحقة للتصويت.

ومن جانب آخر؛ لم يكن للمشروع ما يكفي لحدوث أي انشقاق، لا بالحجم الذي يتكلمون عنه ولا بأي حجم آخر.

أقول لهؤلاء: «**إن المشروع كان الثمرة الأهم لجهود الشهيد في السجن، الشهيد سيقف يوم القيامة بين يدي الله، وسيقف أمامه جميع من ادّعوا أنه عمل على شقّ الصف**».

أما أنت أيها القارئ العزيز، فأنا أدعوك لسؤال كل من عاش مع الشهيد؛ بل وكل من كان في مبنى ٤، فاسألهم لتعرف بنفسك إن كان «**أبو قسّام**» شخصاً وحدوياً أم شخصاً يثير الفتن ويعمل على شق الصف، فحسبه الله ونعم الوكيل على كل من طعنوا الشهيد في قبره.

ضربة جو

ضربة «**جو**» جاءت من دون سابق إنذار، وفي البداية لم يكن للشهيد دور في الاحتجاجات، ولكن حينما تحول التحرك إلى أمر واقع، فإن «أبو قسّام» تحرك مع باقي الشباب ليظهر أن جانب القيادة الميدانية لا يزال حاضراً بقوة في روح «**أبي قسّام**».

الشهيد في مقبرة الأحياء

كانت تحركات الشهيد تهدف بصورة أساسية إلى تقليل الإصابات بين صفوف الشباب، إضافة إلى عمله على إبطاء سرعة اقتحام المبنى؛ فمثلاً كان الشهيد يأمر الشباب بأن يملؤوا سطول الماء، وأن يضعوها في الممرات، وذلك استعداداً للتعامل مع عبوات الغاز الخانق.

حيث قام الشهيد «**أبو قسّام**» بإرشاد الشباب إلى ضرورة إلقاء عبوات الغاز داخل سطول الماء لإبطال مفعولها. من جانب آخر؛ فقد كان أحد أبواب الطوارئ في مبنى ٤ يطل على مبنى ٣ المخصص للصغار في السن، في ذلك الوقت كان الصغار في السن قد تمكنوا من الخروج من المبنى، وانتشروا بين مبناهم ومبنى ٤، وذلك بالتزامن مع فتح باب الطوارئ لـمبنى ٤.

وجود الشباب الصغار بين المبنيين يعرضهم للخطر؛ لهذا فقد كان «**أبو قسّام**» يريد إدخالهم إلى مبنى ٤، لكن قامت قوات الشغب باستخدام الشوزن لإبعاده عن المبنى، ومن ثم قاموا بإرجاعهم إلى مبناهم.

العمل الميداني لم يمنع الشهيد من أن يكون ناشطاً في توثيق الأحداث، فكان يتواصل مع من يملك هاتفاً ويأخذ منهم الصور ليقوم بنقلها إلى الإعلام والمنظمات الدولية، ومع اقتراب قوات الشغب من اقتحام المبنى، كان الشهيد يعمل على إغلاق الأبواب وربطها كما كان يقوم بدفع الثلاجات عليها، وقام برصّ بعض الأثاث الثقيل، وذلك لجعل عملية الاقتحام وفتح الأبواب أكثر صعوبة.

كما كان الشهيد يريد أن يفتح متنفساً أمام الشباب لمنع محاصرتهم داخل المبنى، لهذا فقد كان يريد فتح الشبك المعدني خلف المبنى، والذي كان يطل على البحر، ولكن وجود أحد المرتزقة في برج المراقبة كان يعيق ذلك، لهذا فقد شن الشهيد والشباب حملة على البرج باستخدام عبوات المشروبات الغازية البلاستيكية.

فتحُ الحاجز كان ممكناً، لكنه لم يتم بسبب اقتحام المبنى. وبعدها داخل السجن في مرحلة «**الخيام**».

في الخيمة

مر الشهيد في مرحلة «**الخيام**» التي كانت من أشد وأصعب الفترات في تاريخ السجن، وليس المجال هنا لوصف التعذيب الجماعي الذي تعرض له المعتقلون في تلك الفترة العصيبة، ولكن رغم صعوبة الوضع، فإن الشهيد لم يتبدل، ولم يتخلى عن روح المسؤولية اتجاه الآخرين.

فحينما تم فتح الاتصال، فإن زوجة أحد المعتقلين اشتكت إلى زوجها ما تعانيه من إحدى الشخصيات التي كانت لها مكانة في الخارج، والذي كان يحمل مسمى «**ناشط**»، لكن ذلك النشاط لم يكن سوى غطاء لمآرب أخرى، فهذا الناشط كان يحاول استغلال غياب الأزواج في المعتقل من أجل التقرب لزوجاتهم، فكان من بينهن زوجة صديق الشهيد، وحينما علم الزوج بذلك لم يكن بيده حيلة، فهو في السجن، وحتى الاتصال كان يتصل لدقائق قليلة لا تكفي كي يتصرف خلالها. هذا الزوج قام بمشاورة «**أبي قسّام**»، فما كان من الشهيد إلا أن طمأنه وأخبره بأنه سيتصرف في الموضوع.

«**أبو قسّام**» كانت له عائلة أيضاً، وكان بحاجة لكل دقيقة اتصال كي يتواصل مع أهله، ورغم هذا فقد سخّر اتصاله عدة مرات من أجل زميله، فاتصل الشهيد إلى أحد الأشخاص الذين يثق بهم، وطلب منه الذهاب إلى هذا الناشط وأن يهدده كي يتوقف، وبالفعل قام هذا الشخص بالمطلوب، ولأن الناشط فضحه الله لاحقاً وفي أكثر من جانب فقد سقط من أعين الناس، وليس المجال هنا للحديث عنه؛ بل أقتصر على توضيح شهامة الشهيد «**محمد سهوان**»، فرغم الظروف الصعبة التي كان يمر بها في الخيمة إلا أن ذلك لم يمنعه من الوقوف مع الآخرين والعمل على حل مشاكلهم.

ما بعد الخيمة

ومن الخيمة انتقل الشهيد إلى مبنى ٣؛ حيث كان الوضع لايزال صعباً وقاسياً، وقبضة المرتزقة كانت مطلقة لقمع المعتقلين في حال ممارستهم لأبسط الأمور، في هذا الظرف لم يتوقف الشهيد عن النشاط؛ بل كان يقوم سراً بتدريب المعتقلين داخل المبنى. ثم تطور النشاط حينما خفف المرتزقة من الضغط، ليتمكن «**أبو قسّام**» من إقامة أنشطة دينية، فكان يقيم دروس القرآن؛ إضافة إلى برنامج ديني لليلتين في الأسبوع، وكل ذلك رغم أن الشهيد لم يستقر في المبنى لمدة طويلة، فبعد شهر ونصف من نقل جميع المعتقلين من مبنى ٣ إلى مبنى ٦ الذي كان منزله الأخير في هذه الحياة الدنيا، سيبدأ صعوده.

في مبنى ٦

في البداية كانت الظروف صعبة جداً في مبنى ٦، ولكن سرعان ما تمكن الشهيد من كسب احترام المرتزقة الأردنيين عبر شخصيته اللبقة، فكان يستخدم علاقاته بهم كجسر من أجل الحصول على بعض المكتسبات لباقي السجناء؛ مثل الحصول على وقت أكثر في الساحة وما إلى ذلك.

مبنى ٦ تحول سريعاً لأفضل مبنى في السجن، وذلك مقارنة إلى باقي المباني التي تعرضت للضربة؛ حيث تم فتح الأمور في مبنى ٦ أسرع من باقي المباني، ولم يمضِ سوى وقت قليل حتى تم تقسيم المبنى بين النزلاء القدامى والمعتقلين الصغار في السن المسجلين في «**مركز ناصر التعليمي**».

بصورة عامة، فإن التعامل يكون أصعب مع المعتقلين الذين لم تصل أعمارهم إلى سن الـ «٢١» عاماً، كما يكون الانفلات والتهور طاغياً على تصرفاتهم، لكن الشهيد تمكن بسرعة من تكوين مكانة لائقة به بين هؤلاء، فتمكن من كسب حبهم واحترامهم، حتى صارت كلمته مسموعة لديهم.

بل صار صديقهم المفضل ومرشدهم الذي يلجؤون إليه في كل كبيرة وصغيرة في المبنى، علاقة «**أبي قسّام**» الممتازة بالمعتقلين من جانب وبالمرتزقة من جانب آخر جعلت من المبنى مكاناً حيوياً وخالياً من المشاكل الضخمة، فكل مشكلة تطرأ كانت تحل بصورة سريعة وقبل أن تتفاقم.

الشهيد واحتياجات الشباب

رغم كل الأمور التي كان يعاني منها الشهيد إلا أن أكثر ما كان يهمه هو احتياجات الشباب. يقول «**أبو رضا**» - وهو شريك «**أبي قسّام**» في تأسيس «**النور المحمّدي**»- إن أحد المواقف التي أثرت فيه بعد الخيمة، كان لقاؤه بالشهيد في هذه الفترة، وذلك خلال الزيارة، يقول «**أبو رضا**» إن «**أبا قسّام**» احتضنه وهو يبكي طالباً منه أن ينتقل إلى مبنى ٦ ومعه الرادود عيسى الغيص، وذلك كي يساعده في المسؤولية.

كان الشهيد يترجاه باكياً: «**لا تتركوني وحدي... الحمل ثقيل والشباب يحتاجون لنا**».

وما بدّلوا تبديلاً

في إحدى الحلقات النقاشية في مبنى ٦، سأل أحدهم الشهيد: «**أنت تتعرض للاعتقال منذ التسعينات، ألم تتعب؟!**»، فأجابه الشهيد: «**أنا مستعد أن أموت أو استشهد داخل السجن من أجل أن يكون للأجيال القادمة مستقبل زاهر**».

كلمات الشهيد تستحق من القارئ أن يقف عليها، ويتأمل في حجم الإيمان والصمود الذي كان يعيشه الشهيد، كان «**أبو قسّام**» يعيش هذه الحالة رغم كل السنوات التي أمضاها في السجن؛ سواءً في التسعينات أو في هذه الثورة.

الوصول إلى المعشوق

الشهيد تمنى الشهادة فأعطاه الله طلبه، الشهيد كان يعاني كثيراً من البرد، فكلما اشتد البرد فإنه يتعرض إلى صداع قوي جداً يكاد يقتله، وفي مبنى ٦ كانت الحمامات خارج الغرف، والذهاب إليها يعني التعرض للبرد خصوصاً أثناء ليالي الشتاء، وفي إحدى الزيارات قابلتُ أحد المعتقلين الصغار في مبنى ٦، وكان يسألني إن كان في مبنى ٤ قلنسوة أصلية كي يقوم بتهريبها لـ «**أبي قسّام**».

وكان يقول لي إن الشهيد يعاني كثيراً بسبب أن البرودة تؤثر سريعاً على الشظايا المغروزة في جمجمته، فأخبرته أن المبنى خالٍ من أي قلنسوة أصلية، كما اقترحت عليهم خياطة واحدة له، فأجابني أنهم جربوا ذلك إلا أن الناتج لم يكن كافياً لصد البرد. لم تكن معاناة الشهيد من الشظايا مقتصرة على البرد والصداع وحده؛ بل هناك آثار سلبية أخرى لها.

فالشظايا مصنوعة من الحديد، وبالتالي فهي تصدأ مع الزمن، وخصوصاً أن الشظايا بقيت في جمجمة الشهيد لحوالي سبع سنوات، وبالتالي فإنها قد تسبب له التسمم.

يضاف إلى ذلك وجود إهمال طبي شديد تعرض له الشهيد؛ حيث كان يتصل إلى زوجته قائلاً: «**أنا أتألم بشكل طبيعي؛ أنا احتضر هنا، فحاولي أن يأخذوني للعلاج، فهم لا يأخذوني لا للعيادة ولا للمواعيد**».

ويوجد تسجيل صوتي يقطّع القلب لهذه المكالمة التي تُبين مدى الإهمال الطبي الشديد الذي كان يعاني منه. في يوم شهادته، كان «**أبو قسّام**» يلعب كرة القدم، ثم توقف جانباً كي يقوم ببعض تمارين الشد، لكنه أحس بتعب شديد، فتوقف عن التمارين، وتمدد على الأرض. الشباب الصغار أحسوا بأن حالة «**أبي قسّام**» لم تكن على ما يرام، فأسرعوا بحمله إلى الشرطة، وأصرّوا عليهم بضرورة

نقله إلى العيادة التي كانت قريبة جداً من المبنى.

لو تم نقل الشهيد لنيل الرعاية الطبية في الوقت الملائم، لربما كان بالإمكان إنقاذ حياته، لكن المرتزقة أهملوا أمره، فلم يأخذوه إلى العيادة إلا هو على الرمق الأخير، وحينما وصل إلى العيادة، فإنه لم يلبث فيها إلا قليلاً قبل أن تصعد روحه نحو الله، تلك كانت آخر ظلامات الشهيد في حياته الجهادية. رحل الشهيد ليكون تاريخ ١٦ مارس ٢٠١٧م، واحداً من بين أكثر الأيام حزناً في السجن.

تم تسليم جثة الشهيد بدم بارد إلى أهله؛ حيث اعتبرت السلطات أن الوفاة طبيعية، وتم أخذ الجثمان الطاهر إلى غرفة منزل آل سهوان؛ حيث قام أخوه الرادود «**مهدي سهوان**» بقراءة أبيات مزجها بدموعه، واختلط فيها صوته ببكائه وبكاء العائلة.

وحينما خرج موكب التشييع كانت «**السنابس**» تغص بآلاف المشيّعين الذين جاءوا للوداع الأخير.

أما في المقبرة، فقد لبس آل سهوان السواد، وكان لهم نوحٌ يقطّع القلوب، وبكاء يسمعه القاصي والداني. أما مكان القبر، فكان إلى جانب الشهيد الأستاذ «**أحمد الإسكافي**»... فقد آن للتلميذ أن يرتاح إلى جانب أستاذه.

فهناك يرقد شهيدان، وقاتلهما واحد.

من المواقف المؤثرة التي شهدتها المقبرة بعد التأبين بفترة، كان الإفراج عن أحد زملاء «**أبي قسّام**»، وكان هذا المعتقل من «**أبو قوة**»، لكنه لم يذهب إلى المنزل مباشرة؛ بل كانت وجهته الأولى بعد خروجه من السجن هي إلى قبر الشهيد.

وعند القبر كان المعتقل يبكي بحسرة، ويطلب من الشهيد براءة الذمة، وأن

يعذره لأنه لم يتمكن من حضور الجنازة.

وتوجد فيديوهات لعدد من المعتقلين الذين عاشوا مع «**أبي قسّام**» وتعلقوا به، كل واحد منهم ذهب إلى القبر ليبكي على الشهيد بمجرد الإفراج عنه.

أيها العزيز ...

هذه الصفحات ليست إلا قبسات ناقصة من حياة «**أبي قسّام**».

وإني أجدد الدعوة لك، أن تسأل من عاشوا مع الشهيد كي تسمع بنفسك عن هذه الشخصية الاستثنائية الفذّة.

ثم إني أدعوك ألا تتوقف عند جانب الاطلاع على مواقف الشهيد؛ بل عليك أن تخطو في ذات دربه، فالمعرفة هي مقدمة للعمل.

بفضل الله تم الانتهاء من الكتابة

يوم الثلاثاء ليلة الأربعاء

١٢ جمادى الأول ١٤٤١ هـ

٧ يناير ٢٠٢٠م

صدر لدار الوفاء للثقافة والإعلام

سلسلة رجالٌ صدقوا:

١. هكذا عرفوه، الشهيد رضا الغسرة

٢. المؤمن الممهد، الشهيد علي المؤمن

٣. فخر الشهداء، الشهيد عبدالكريم فخراوي

٤. الخارجون من الماء، كمال السيّد، رواية أدبية حول حياة المحرر من السجون الخليفية محمد طوق

٥. القادم من هناك، كمال السيّد، رواية أدبية حول حياة الشهيد القائد رضا الغسرة

٦. ألم وأمل، السيد مرتضى السندي، تجربة واقعية في السجون الخليفية

٧. فارس التحرير، أحمد العرب، حول الشهيد علي العرب

٨. بين غياهب الموج، الشهيد ميثم علي

٩. أبو قسّام، الشهيد الفدائي محمد سهوان، علي معراج (هذا الكتاب)

سلسلة نهج الولاية:

١. العمل المؤسساتي في فكر الإمام الخامنئي

٢. الاستغفار والتوبة، الإمام الخامنئي

٣. التحليل السياسي في فكر الإمام الخامنئي

٤. العبد الصالح، الإمام الخامنئي، رواية الإمام الخامنئي حول الإمام الخميني

٥. سيد شهداء محور المقاومة، قاسم سليماني

٦. عهد الأمير إلى المسؤول والمدير، شرح رسالة الإمام علي لمالك الأشتر، الإمام الخامنئي

٧. النفوذ في فكر الإمام الخامنئي

٨. الحياة بأسلوب جهادي، الإمام الخامنئي

٩. الثورة الإسلامية في فكر الإمام الخامنئي

١٠. الثوري الأمثل، الإمام الخامنئي

١١. صلح الإمام الحسن عليه السلام، الإمام الخامنئي

١٢. النهضة البرمجية، الإمام الخامنئي

١٣. يحبهم ويحبونه - كلمات السيد حسن نصرالله حول الشهيد قاسم سليماني

صدر لدار الوفاء للثقافة والإعلام

سلسلة من داخل السجن:

١. التغيير في سبيل الله، الشيخ زهير عاشور
٢. تأملات في الفكر السياسي، الشيخ زهير عاشور
٣. الإسلام والعلمانية، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين
٤. الرحيل نحو الأبدية، الساعات الأخيرة للشهيد علي العرب قبل إعدامه، كمال السيّد
٥. يسألونك عن عاشوراء، الأستاذ محمد فخراوي
٦. رسول الرحمة، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين
٧. على ضفاف الحسين، الأستاذ محمد سرحان
٨. نشيد الشهادة، شرح وصية الشهيد القائد قاسم سليماني، الأستاذ محمد سرحان
٩. ماضون على دربك، قصص أسرى البحرين بعد استقبال خبر شهادة القائد قاسم سليماني
١٠. مرج البحرين يلتقيان، حياة الإمام علي وفاطمة الزهراء، الأستاذ محمد فخراوي
١١. خط الإمام الخميني، الشيخ جاسم المحروس
١٢. الإسلام دين الفطرة، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين
١٣. شقشقة المظلوم، شرح الخطبة الشقشقية لأمير المؤمنين عليه السلام، الشيخ زهير عاشور
١٤. إلى أحبتي، نصائح تربوية إلى الشباب، الشيخ زهير عاشور
١٥. وذكرهم بأيام الله، شذرات من فكر الإسلام المحمدي الأصيل، الأستاذ محمد سرحان
١٦. اللامنطق في الفكر والسلوك (مجلدين)، مواجهة النبي موسى لفرعون، الأستاذ عبدالوهاب حسين
١٧. رحيق كربلاء، الشيخ زهير عاشور
١٨. معرفة النفس طريق لمعرفة الرب، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين
١٩. شمعة في وسط الظلام، الشيخ زهير عاشور
٢٠. إضاءات فكرية، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين
٢١. فارس التحرير، أحمد العرب، حول الشهيد علي العرب
٢٢. مشكاة - فضيلة أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين، حسن مرهون
٢٣. أبو قسّام، الشهيد الفدائي محمد سهوان، علي معراج (هذا الكتاب)

سلسلة الاستكبار العالمي:

١. تاريخ أمريكا المستطاب، الدكتور محمد صادق كوشكي

٢. دواعش بربطات عنق، سيد هاشم ميرلوحي

سلسلة تاريخ البحرين:

١. آل خليفة الأصول والتاريخ الأسود
٢. شهادة وطن، إفادات قادة الثورة المعتقلين وعذاباتهم
٣. الإبادة الثقافية في البحرين
٤. تيار الوفاء الإسلامي، المنهج الرؤية الطموح

كتب أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين:

١. إضاءات فكرية
٢. معرفة النفس طريق لمعرفة الرب
٣. اللامنطق في الفكر والسلوك، مواجهة النبي موسى لفرعون
٤. الإسلام دين الفطرة
٥. رسول الرحمة
٦. الإسلام والعلمانية
٧. الجمري في كلمات أمينه وخليله
٨. القدس صرخة حق
٩. إضاءات على درب سيد الشهداء عليه السلام
١٠. قراءة في بيانات ثورة الإمام الحسين عليه السلام
١١. الدولة والحكومة
١٢. الإنسان رؤية قرآنية - الجزء الثاني
١٣. الإنسان رؤية قرآنية - الجزء الأول
١٤. في رحاب أهل البيت عليهم السلام
١٥. الشهادة رحلة العشق الإلهي

كتب أخرى:

١. قافلة الخلود - شهداء البحرين
٢. عاشوراء البحرين ٢٠١٩
٣. كتيّب المقاوم العارف، الشهيد المقاوم أحمد الملالي

٤. عاشوراء البحرين ٢٠١٨
٥. حصاد البحرين ٢٠١٧
٦. عاشوراء البحرين ٢٠١٧
٧. في رحاب مدرسة الإمام الخميني
٨. المهدوية في الفكر الولائي
٩. الحصاد السياسي ٢٠١٦

كتب باللغة الفارسية:

١. تغيير در راه خدا (التغيير في سبيل الله)، الشيخ زهير عاشور
٢. بازخوانى خطبه هاى امام حسين (قراءة في بيانات ثورة الإمام الحسين)، الأستاذ عبدالوهاب حسين
٣. بر آستان اهل بيت (في رحاب أهل البيت)، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين
٤. رنج و اميد (ألم وأمل)، السيد مرتضى السندي
٥. گواه ميهن (شهادة وطن)، إفادات قادة الثورة المعتقلين وعذاباتهم
٦. تاريخ سياه آل خليفة (آل خليفة الأصول والتاريخ الأسود)
٧. بت شكن (رواية الخارجون من الماء)، كمال السيّد

في إحدى الحلقات النقاشية في مبنى 6، سأل أحدهم الشهيد: «أنت تتعرض للاعتقال منذ التسعينات، ألم تتعب؟!»، فأجابه الشهيد: «**أنا مستعد أن أموت أو استشهد داخل السجن من أجل أن يكون للأجيال القادمة مستقبل زاهر**».

كلمات الشهيد تستحق من القارئ أن يقف عليها، ويتأمل في حجم الإيمان والصمود الذي كان يعيشه الشهيد، كان «أبو قسّام» يعيش هذه الحالة رغم كل السنوات التي أمضاها في السجن؛ سواءً في التسعينات أو في هذه الثورة.

الموقع الرسمي
دار الوفاء للثقافة والإعلام